



عنوان المقالة مسروق من مقالة قديمة نشرتها بالعنوان نفسه أيام مشكلة حركة حزم مع جبهة النصرة، فمن شاء فليرجع إليها، فإن ما قلته فيها يومها يصلح أن أقوله في هذا اليوم الحزين، اليوم الذي رفع فيه الأخ في غوطة دمشق السلاح على أخيه، وهذا الشريكان في الدين والمعاناة والهم والمصير.

(1) مقدمات

1- هذه هي المقالة الخامسة التي أنشرها في مشكلة الغوطة الأخيرة، ولا أرضى أن تُجزأ أي أجزاء مُفردة من أي منها، فهي كلها معاً تمثل رأيي في المشكلة، فإني ما زلت على القناعات والأفكار ذاتها التي نشرتها في المقالات السابقة، وهي تتكامل مع هذه المقالة الخامسة بحثاً عن الحل المنشود.

2- لا أؤمن بأي حل جزئي أو آني لمشكلة اليوم أو لما سبقها من مشكلات. إن مشكلات الغوطة كلها مترابطة ولها جذور مشتركة، وكما قلت في المقالة السابقة: **إما أن تُحل جذور المشكلة وتُحل المشكلات كلها معاً، أو تبقى كلها فتتفاهم وتعاظم، وعلى الغوطة السلام.**

3- المقالات الأربع السابقة أغضبت كل الأطراف، وسوف تُغضب هذه المقالة الأطراف كلها أيضاً. ولا بأس، فما سعيت من

قبل ولا أسعىاليوم لاسترضاء الناس، ليس حينما يكون ثمن المجاملات هو مئات الآلاف من أهل الغوطة الأبراء الذين سيفسدون في هذه الفتنة الصماء العمياً لا قدر الله.

(2) التشخيص

1- إن الهجوم الأخير الذي جرى على جيش الإسلام عدوانٌ واضحٌ صريحٌ لا ليُبسَ فيه ولا يجوز السكوت عنه. إن كان للفيلق حق عند الجيش (وهو له حق فيما أشهد) فإن سبيل الوصول إليه هو القضاء ووسائلات أهل الخير والإصلاح التي لم تهدأ ولم تتوقف وكان لا بد لها أن تثمر ثمرة طيبة بأمر الله، لولا أن الفيلق ارتكب هذه الحماقة والعدوان فانقلب من مظلوم إلى ظالم، وصار مطالبًا بالكف عن العدوان بعدما كان الجيش هو الذي يطالب برد مقراته المغصوبة إليه.

2- إن التقرير الذي نشرته لجنة الفعاليات المدنية في ست صفحات واعتبره الفيلق وثيقة قانونية لتبرير الهجوم على المقرات واعتقال المطلوبين ليست له أي قيمة قانونية، فاللجنة ليست سوى "لجنة متابعة" كما أعلنت عن نفسها مراراً، واللجنة القضائية التي تشكلت بموجب تلك المبادرة لم تحصل على التوافق المطلوب، ثم إن توقيت النشر وطريقته يزيدان الأمر هشاشة، فإن اللجان القضائية لا تنشر محاضرها وقراراتها في غرف مغلقة بعد منتصف الليل ليبدأ بموجها هجوم عسكري في الصباح الباكر.

3- الأصل أن تُحلَّ مشكلات الغوطة (وغير الغوطة) بالقضاء أو بوسائل العقلاء لا بإراقة الدماء، وقد قطع عدوانُ الفيلق على الجيش الطريق على جهود هائلة كانت ثلثة من المخلصين قد نذرت لها نفسها وفرّقت لها وقتها منذ بداية الأزمة الأخيرة، وكانت الأمور تتقدم وإن يكن تقدماً بطيناً، وقد وافق الجيش على مبدأ التحاكم وبقي الاتفاق على الإجراءات والتفاصيل. هبوا أن الجيش يماطل ويتهرب، فهل الحل بالحرب والحراب أم باستثمار ضغط العقلاء والعلماء؟

4- إنه يوم كيوم الجمل، فقد بات الناس متلقين على أساس الحل واستيقظوا على صوت الرصاص، فهل عندنا شك - بعد - في أن أصحاب ابن سينا الجديد اخترقوا الفصيلين وأوقدوا بينهما نار الحرب كما اخترق أصحاب ابن سينا الأول طرفي معركة الجمل فنشبت بينهما حرب مدمرة أُزهقت فيها الألوف وأُرِيقت فيها الدماء بغير حق؟ كلنا نريد قاتل مرافق أبي سليمان وليس أنت فقط، ولكن استعمال السلاح لإحقاق الحق يحيل الحق إلى باطل، ولا يُحلُّ الخطأ بخطأً مثله أو بأكبر منه.

5- رغم كل النصائح والمناشدات التي وجهت إلى الإخوة في الفيلق - في المنشورات العامة وفي الغرف الخاصة - بضرورة فك الاشتباك مع جيش الفسطاط وإقصاء جبهة النصرة عن القضية برمّتها إلا أن الإخوة لم يستجيبوا ولم يقدروا الخطر حق قدره، فكانت النتيجة أنهم صاروا ببادق على رقعة شطرنج تدبرها وتحكم فيها جبهة النصرة، وصاروا سيفاً في معركتها الباطلة في الغوطة. ما الذي أدخل جيش الفسطاط في النزاع وهو لا ناقة له فيه ولا بعير، ولماذا تدور المفاوضات مع جبهة النصرة لوقف القتال؟ أفيقوا يا فيلق الرحمن وداركوا هذا الخطأ القاتل وفي الوقت بقية.

(3) العلاج

- 1- التزام كل الأطراف بوقف فوري لكل الأعمال القتالية.
- 2- انسحاب كل الأطراف إلى المواقع التي كانت فيها ليلةً بدء الاقتتال.
- 3- إطلاق جميع الأسرى والمحوقين لدى الفصيلين.
- 4- التوقف الفوري عن التمجييش المنظم والحملات الإعلامية الغوغائية.

5- فتح الطرق وإزالة الحواجز وسحب المسلمين إلى موقعهم الصحيح: الجبهات.

6- إعادة المؤسسات المدنية والإعلامية والإغاثية إلى أصحابها وتحييدها الدائم عن النزاع.

6- انسحاب الجيش من مقرات الفيلق التي وضع يده عليها غداة اندماج الفيلق بالاتحاد.

7- العودة إلى المسار الإصلاحي واستئنافه من النقطة التي وقف فيها قبل بدء الاقتتال الأخير.

(4) نصائح عامة

1- احلقوا لحاكم واحذفوا من رياضكم وشعاراتكم كلمة الإسلام واسم الرحمن وعبارات التوحيد، فما أضرَ الإسلام أحدً أكثر من الذين رفعوا شعاراته ثم لم يطبقوا منهجه الحقيقي في الحياة.

2- امنعوا شرعيَّ الفصيلين من التدخل في العمل العسكري والإداري، فما صدَّع العلاقات بين الفصائل أكثر من تدخل الشرعيين فيما لا يخصهم من العمل العسكري والسياسي والإداري، وهذه النصيحة واجبة التطبيق في جميع أنحاء سوريا.

3- توقفوا عن التلاؤم والبكائيات، فقد صارت الغوطة غابةً اشتراك كل الأطراف بالبغى والعدوان، فما أغربَ أن يصرخ طرفٌ وينكر عدون طرف آخر على مقراته بعدهما أباح لنفسه السطوة على مقرات غيره وأبى إعادتها رغم التوصلات والوساطات.

4- إن شئتم إن تعودوا إلى الاقتتال بعد ذلك كله فاصنعوا، ولكن لا تذكروا الحق والباطل ولا تجيشوا الناس على هذه الدعاوى، فأنتم الباطل نفسه وأنتم أبعد الناس عن الحق حينما تسوّغون التغلب وتحكمون إلى السلاح.

5- إن شئتم إن تعودوا إلى الاقتتال بعد ذلك كله فاصنعوا، اقتلوا ولكن حيّدوا المدنيين وابعدوا عن الجمعيات والمنظمات الإغاثية والمدنية، فإنها فخر الغوطة وحياة أهلها وهي لها صمامات الأمان.

(5) صرخةأخيرة

يا عقلاه الجيش والفيلق ويا حكماء الغوطة: أوقفوا القتال ونُقُوا الصفوف من السبيئة، وعالجوا جذور المشكلة وأنهوا المظالم وردوا الحقوق، اصنعوا ذلك تعيش الغوطة بسلام.

الزلزال السوري

المصادر: